

## مبحث أثرى

# UNE ÉTUDE ARCHÉOLOGIQUE

PAR

M. ALY BEY BAHGAT.

(Planches XIII-XV.)

في أوائل سنة ١٩٠٢ عقب تعييني في دار الآثار العربية أخذت أدرس محفوظاتها درسا تفصيليا وأودع خلاصة درسي في كراسة لعلى أرجع اليها عند الحاجة . وبينما كنت أتصفح هذه الكراسة في الأيام الاخيرة وجدتني أودعتها فيما يمس احد الابواب المحفوظة في دار الآثار عدة تقييدات وعلقت عليها بعض تعليقات من ذلك :

«باب كبير مصنح بالنحاس ذو مصراعين وارد من جامع السلطان برسباي بجوار بلدة الخانكة (لخانقاه) منقوش عليه بخط الثلث الجليل سطران

السطر الاول على المصراع الايمن من فوق (امر بإنشاء هذا الباب المبارك السعيد) وعلى المصراع الايسر من فوق (الجناب العالى شمس الدين سنقر الطويل المنصوري)

السطر الثاني على المصراع الايمن من تحت (لازال السعد له خا[دما].... له دائما) وعلى المصراع الايسر من تحت (.....ين وستمائته) وفي خلال السطر الثاني حيث النقط : رمت هذا الباب لجنة حفظ الآثار العربية عام ثمانية عشر وثلاثمائة والف»

اما التعليقات فنصها : «من التاريخ المنقوش على هذا الباب يظهر انه عمل في الاصل لعمارة اخرى غير جامع برسباي الذي جيئ به منه ولذلك يلزم البحث عن حياة شمس الدين سنقر المنصوري الذي يلزم ان يكون من ممالك المنصور قلاوون» ويلى ذلك :

«ربما كان هو الامير شمس الدين سنقر الاشقر الذي ثار على قلاوون بدمشق وتسلطن في ٢٤  
الحجة سنة ٦٧٨ (راجع صحيفة ٣٨٦ ثاني مقريزي سطر ١٦ وربما كان هو سنقر المذكور في صحيفة ٢٥٠  
مقريزي جلد اول بمناسبة مدينة التحريرية وربما كان هو سنقر الرومي المذكور في صحيفة ٨٢  
مقريزي ثاني بمناسبة حامي . لا بل يغلب على ظني انه هو سنقر الاعسر (راجع صحيفة ٨٤ جزء ثاني

مقريزي . هذه ملاحظات علمية محضة ولي ملاحظة فنية هي ان اللجنة لم ترم الباب الرم المتفق عليه عند الاثريين بل جددته واملت الناقص منه» اه

واذ كان الباب الذى نحن بصددده وهو المعروف في الغرفة التاسعة من دار الآثار تحت العدد ٣ (راجع اللوحة الاولى) قد ذكر في عدة مباحث اثرية دون ان يتصدى احدها الى كشف النقاب عن صاحبه الذى بقى مجهولا حتى اليوم اذ لم يزد فهرس دار الآثار وهو اقرب تلك المباحث عهدا على ان وصفه بقوله «باب جميل من مصراعين مصنحين بعلوها وسفلها كتابة نسخ مملوكي من سطر واحد وزخارفه النحاسية تسترعى النظر بما يتخلل نقوشها العربية من صور للحيوانات وهو ما يحملنا على الظن بان هذا الباب من صنع احد الاجانب او انه وارد من خارج البلاد وقد تنقل بين الايدي الى ان وجد في جامع بنى بعد صنعه بمائة وخمسين سنة تقريبا»

وحيث كانت التعليقات القليلة التي علقناها عليه في الفهرس المذكور وفي الكراسة للخصوصية تشجع على متابعة البحث للوصول الى معلومات جديدة تؤدي ان لم نقل الى حل المعنى فعلى الاقل الى تقليل غوضه لذلك رأيت ان اراجع تعليقاتي وناقشها :

قلت ان هذا الباب لم يعمل في الاصل برسم جامع السلطان الاشرف برسباي بل انه من احد الابنية التي شادها امير اسمه شمس الدين سنقر المنصوري وهذا بديهي ليس فقط لذكر اسم الامير المنشئ على الباب بل لذكر التاريخ الذي يلزم ان لا يخرج عن المدة ما بين سنة ٦٧٨ و سنة ٦٩٩ (راجع اللوحة الثانية) اى قبل ان يتولى السلطان برسباي بقرن ونصف لان هذا السلطان كان قابضا على زمام سلطنة مصر من سنة ٨٢٥ الى سنة ٨٤١ هجرية — اما الملاحظة الغنية للخاصة بمهمة الباب فتتخصر في ان اللجنة قد تعدت حدود وظيفتها بأن جددته كله وعملت منه بابا اخر عوضا عن ان تقتصر على مأموريتها التي هي عمل ما لا بد منه لحفظه . على انك لو انعمت النظر في اللوحة الثالثة لتجلت لك دقة الرسوم القديمة ورشاققتها بمعزل عن خشونة الاشكال الحديثة ورداءتها

بقي ان نبكت فيمن من الامراء الذين اطلق عليهم اسم سنقر تصح نسبة هذا الاثر اليه وهو بحث شاق لو علمنا ان جميع السناقر اولاد عبد الله وكلهم الا القليل لقبوا ب «شمس الدين» ويزيد هذا البحث مشقة ان عددهم كما جاء في الفهرس الابجدى لابن اياس اثني عشر اميرا فاذا استثنينا منهم خمسة لتأخر عهدهم عن تاريخ انشاء الباب وهو على ما قلنا او اخر القرن السابع لمجيئهم في اواسط القرن الثامن او ما بعد ذلك وهم سنقر المحمدي من امراء الصالح صالح بن محمد الناصر (سنة ٧٥٣ - سنة ٧٥٥) ثم سنقر نائب سيس وسنقر الرومي الظاهري من امراء الظاهر برقوق

(سنة ٧٨٥ - سنة ٨٠١) ثم سنقر الظاهري من امراء الظاهر جتق (سنة ٨٤٣ - سنة ٨٥٧) وسنقر قرقشبق الزردكاش من امراء الظاهر خشقدم (سنة ٨٦٦ - سنة ٨٧٢) واستبعدنا سنقر الاخلاطى من امراء السلطان صلاح الدين يوسف (سنة ٥٩٧ - سنة ٥٨٩) لتقدم عهده كثيرا وسنقر الرومى الصالحى لانه هو نفس سنقر الاشقر (١) ثم سنقر جركس لكونه من خوشداسى قلاوون اى اقاربه وليس من مهاليكه — اقول لو استبعدنا هؤلاء الامراء الثمانية للاسباب السابقة لبقى معنا اربعة يصح ان ينسب اليهم الباب لوانهم موجودهم في العصر الذى انشئ فيه الباب ولكننا لو صغينا هؤلاء الاربعة بان اخرجنا منهم سنقر السعدى لكون لقبه وهو سعد الدين مغاير للقب المطلوب وهو شمس الدين واخرجنا ايضا سنقر الكافورى للسبب عينه لم يبق معنا الا اثنان يصح ان تنحصر فيهما مظنة اقامة البناء الذى اخذ منه الباب موضوع بحثنا وهما سنقر الاشقر وسنقر الاعسر . اما الاول فلما راجعت كتب التراجم عرفت انه ليس هو المطلوب لان لقبه كما جاء في كتاب المنهل الصافى وغيره سنقر الصالحى النجمى نسبة الى الملك الصالح نجم الدين الايوبى بخلاف سنقرنا فانه ملقب في النقوش بالمنصورى نسبة للسلطان المنصور قلاوون (٢)

هذا من حيث البحث التاريخى اما من حيث البحث الاثرى فلدى قرينة او شبه قرينة دالة على ان سنقر الطويل المنصورى هو سنقر الاعسر ذلك انه جاء في ترجمة الاعسر كما اوردها المقرئى انه كان عارفا خيرا مهابا له سعادات طائلة وهذه الصفة الاخيرة يمكن ان يكون قد لمح لها كاتب النقوش المكتوبة على الباب حيث قال «لا زال السعد له خادما» فان هذه الطلبة ليست من الدعوات المعتاد طلبتها خصوصا لو راعينا ما تم له في حياته اذ بينا نراه يسقط بسبب تدبير يجعل عليه لا يلبث ان يقوم من كبوته على رغم اعدائه وحسدته ولا شك ان هذه الحال لا تنطبق الا على من كان السعد له خادما او كانت له سعادات طائلة

بقيت لدينا نقطة لم نوفق لتوضيحها وهى وصف «الطويل» الذى وصف به سنقر في الكتابة

(١) راجع ترجمة سنقر الرومى في كتاب المنهل الصافى ورقة ١٣٢ وما بعدها ثم راجع ابن اياس جلد اول صحيفة ٩٠ وصحيفة ٩١ ثم راجع المقرئى عند الكلام على حاتم سنقر الرومى صحيفة ٨٢ وعلى قيسارية سنقر الاشقر صحيفة ٨٦ نجد ان سنقر الرومى وسنقر الاشقر هى واحد وهنا يلزم التنبيه على انه فاب المقرئى ذلك إذ ذكر في باب الحمامات حاما نسبة الى سنقر الرومى وفي باب القياسر قيسارية نسبها الى سنقر الاشقر فلو كان للمقرئى علم بان السنقرين واحد لنبه عليه

(٢) لم اتوصل لهذا الاستنباط الا بعد ان تتبععت اسم كل امير سمي بسنقر في تاريخ ابن اياس وغيره من كتب التراجم

على الباب استلغتنا لها بعض الاصدقاء وقال عرفتنا او كدت بسنقر الذى شاد البناء المأخوذ منه الباب ولكنك لم تذكر واحداً من سناقرك نعت بالطويل وهو استلفات وجيه لا يسعنا ان نجيب عليه جواباً شافياً وغاية ما نقوله انا عثرا صدفة على فقرة في المقرئى ذكر فيها سنقر الطويل عرضاً وذلك بمناسبة اصطبل الامير قوصون (١) قال المؤلف «هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدره البقر والباب الاخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطاني وقلعة الجبل انشاء الامير علم الدين سنقر الجمقदार فأخذ منه الامير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وامره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيراً وادخل فيه عدة عمائر ما بين دور واصطبلات فجاء قصراً عظيماً الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر اه» وانا نختم هذا البحث بذكر ترجمة حياة سنقر الاعسر نقلاً عن لخطط للمقرئى صحيفة ٨٤ جلد ثانى

(سنقر الاعسر) كان احد مهاليك الامير عز الدين أيدير الظاهري نائب الشام وجعله دوادارة فباشر الدواديرية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل أيدير من نيابة الشام في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر الى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مهاليكه منهم سنقر الاعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستاديرية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وستمائة الى دمشق واعطاه أمرة وولاه شدّ الدواوين بها واستادارا فصارت له بالشام سمعة زائدة الى ان مات قلاوون وقام من بعده الاشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس طلب سنقر الى القاهرة وعاقبه وصادرة فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فاعاده الى حالته ولم يزل الى ان تسلطن الملك العادل كتبغا واستوزر الصاحب فخر الدين ابن خليل وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استدمر وصادرها وأخذ من سنقر خمسمائة ألف درهم وعزله عن شدّ الدواوين واحضره الى القاهرة (٢) فلما وثب الامير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضاً عن ابن خليل

(١) ليس المقصود بلفظ الاصطبل المعنى المعروف الان وانما هو القصر بجميع مرافقه بما فيها الاصطبل ولكن لما كان للاصطبل وللليل وفرسانها من المهاليك المكانة العالية في تلك العصور لما كان لهؤلاء من المقدرة والسلطان اطلق الاصطبل من باب التغليب على القصر كما يؤيد ذلك عبارة الفقرة وقد يطلق الميدان على ما يطلق عليه الاصطبل ايضاً للسبب عينه

(٢) جاء في المنهل الصافي ان سبب عزله هذه المرة هو اشتراط القاضي للحنفى شهاب الدين عدم مباشرة القضاء على ايامه لانه خائن ولما عاد الاعسر الى الوزارة سلم اليه شهاب الدين للحنفى فلم يعامله كما عامله

في جمادى الاولى سنة ست وتسعين وستمائة ثم قبض عليه في ذى الحجة منها وذلك انه تعاضم في وزارته وقام بحق المنصب يريد ان يتشبه بالشجاعى وصار لا يقبل شفاعة احد من الامراء ويجرق بنوابهم وكان في نفسه متعاضما وعندده شمم الى الغاية مع سكون في كلامه بحيث انه اذا فاض السلطان في مهمات الدولة كما هي عادة الوزراء لا يجيب السلطان بجواب شان وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكترات به فأخذ في ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الامراء وشرعوا في اللطأ عليه حتى صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذى اوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فاني كنت اذا دخل الى احسب انه هو السلطان وانا الاعسر فصدره منقام وحديثي معه كاني احدثت استاذي وقرر من بعده في الوزارة ابن الخليلي فلما قتل لاجين واعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الملك ثانيا افرج عن سنقر الاعسر وعن جماعة من الامراء واعاد الاعسر الى الوزارة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة . وفي وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيبخي والى القاهرة جباية الاموال من التجار وأرباب الأموال لاجل النفقة على العساكر (١) وقرر في وزارته على كل اردب غلظة خروبة اذا طلع الى الطحان وقرر أيضا نصف السمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب اجرة دلالة على كل ما مبلغه مائة درهم درهين فيؤخذ منه درهم منها ويفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الاجناد البطالين وتحصل في بيت المال من اموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير بمائة من ممالك السلطان وتوجه الى بلاد الصعيد وقد وقعت له في النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد واتلف كثيرا من المفسدين من اجل انه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان في المغل ومنعوا كثيرا من الخراج وعصوا الولاة وقطعوا الطريق وما زال يسير الى الاعمال القوصية فلم يدع فرسا لغلاج ولا قاض ولا متعم حتى اخذه وتتبع السلاح ثم حضر بالف وستين فرسا وثمانمائة وسبعين جهاد والف وستمائة ربح والف ومائتى سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عددة من الناس فتهدت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفتت واقعة النصارى التى ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب في ايامه فأمر بالتاج ابن سعيد الدولة احد مستوفي الدولة وكان

(١) وذكر ابن حجر العسقلاني في كتاب الدرر الكامنة المحفوظ في المكتبة السلطانية تحت نمرة ١٠٢ في ترجمة سنقر : انه جمع التجار والباعة ففرض عليهم من مائة دينار الى عشرة كل شخص واقترض من الكارمة اموالا عظيمة وكان عددهم كثيرا جدا وقرر على كل دار وبستان وغيرها قدرا معينا وبلغت مصادراته الفقهاء فكتب على كل واحد اربعين دينارا وعلى كل شاهد عشرين دينارا فقاموا قياما عظيما مع مساعدة ابن مخلوف المالكى القاضى الى ان سوحوا بذلك ثم توجه الى البحيرة وتوجه فلم يترك لاحد من العربان سلاحا ولا ما شية اه

فيه زهو وحق عظيم وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى (sic) فعرى وضرب بالمقرع ضربا مبرحا فظهر الاسلام وهو في العقوبة فأمسك عنه والزمه بحمل ماله فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنبجى وتراعى على الشيخ فقام في امرة حتى عفى عنه فكرة الامراء الاعسر لكثرة شمه وتعاضمه فكلوا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى (sic) واليه امر الدولة في ولاية الامير عز الدين ايبك البغدادي الوزارة وساعدهم على ذلك الامير سلار فولى الاعسر كشف القلاع الشامية واصلاح امورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج اليه وخلع على الامير ايبك خلع الوزارة في اخر سنة سبعمائة فلما عاد استقر احد امراء الالون و حج في صحبة الامير سلار ومات بالقاهرة بعد امراض في سنة تسع وسبعمائة وكان عارفا خيرا مهابا له سعادات طائفة ومكارم مشهورة ولحاشيته ثروة متسعة وغالب مماليكه تأمروا بعده ومن مدحه الوداعى وابن الوكيل اه (١)

على بهجت

(١) قد ذكر صاحب المنهل الصائى موشحا قاله الشيخ صدر الدين ابن الوكيل في مدح الاعسر والحقة ببيتين لعلاء الدين الوداعى قال الاول

يا فرحة المحزون ۞ وفرحة لمن يرى  
ان صلت بالجفون ۞ وصدت من جفنى الكرى  
فليس في يميمى ۞ سوى الذى فاق الورى  
شمس العلاء والدين ۞ ابى سعيد سنقرا  
مولى حوى ۞ كل عاد ۞ وسودد ۞ في معشر فرسان  
وقد صفا ۞ ثم حلا ۞ في المورد ۞ للمعسر والعان

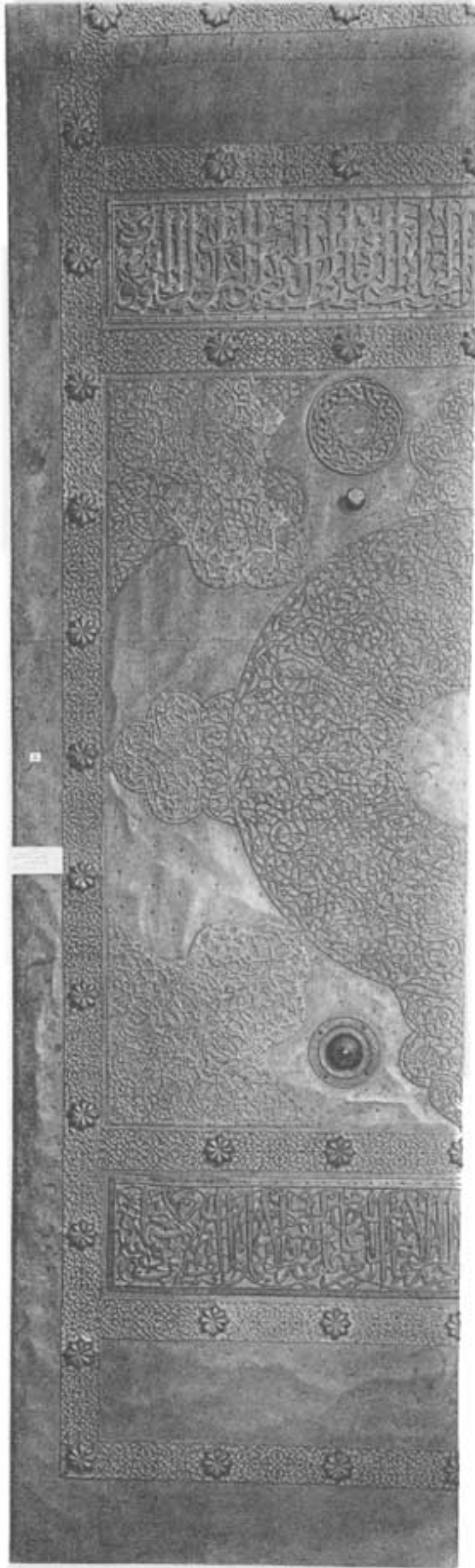
وقال الثانى لما سبق (سنقر) الامراء في عارة الميدان

لقد جاد شمس الدين بالمال والقرى ۞ فليس له في حلبة الفضل لاحق  
واعجز في هذا البناء بسبقه ۞ وكل جواد في الميادين سابق

راجع ورقة ١٣٦ من المنهل الصائى

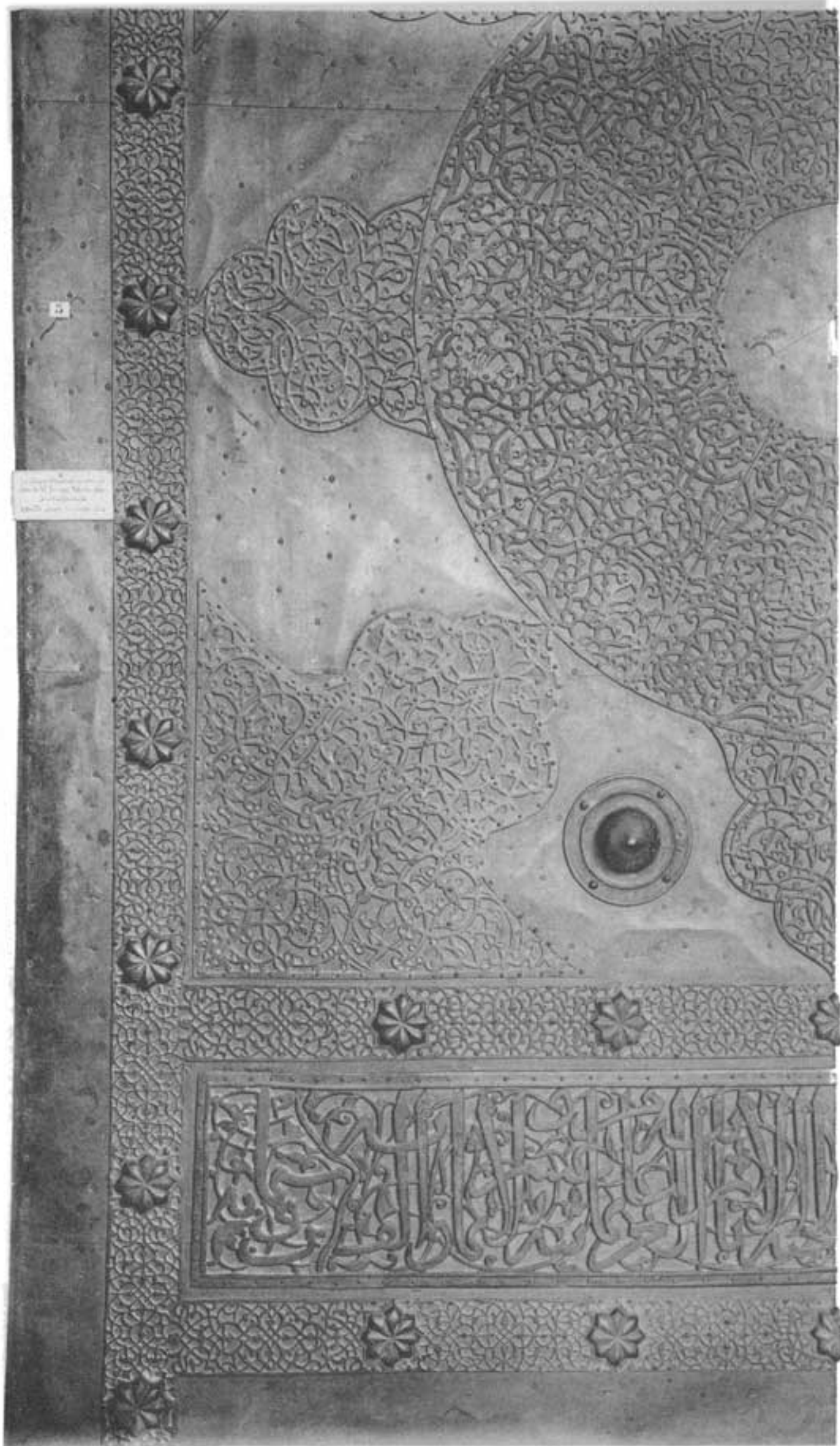


باب من خشب مصنع بالنحاس يرجع تاريخه الى اواخر القرن السابع الهجرى محفوظ بدار الآثار العربية



مصراع من الباب المذكور قبل





جزء من مصراع الباب المذكور